

حضور أبي حامد الغزالي في كتابات البخاري حمانة أو الدعوة إلى علم نفس إسلامي عربي

د. حموم لخضر ، شعبة الفلسفة ، جامعة مستغانم

Lakhdar.hamoum@gmail.com

الملخص:

يعتبر الدكتور البخاري حمانة "أبو حامد الغزالي" علامة فارقة وقامة فارعة الطول في تاريخ الفكر الإسلامي مازالت تلقي بظلالها إلى اليوم، لقد أصبح هذا الأمر حقيقة مؤكدة لدى مؤيديه و كذا معارضييه على حد سواء .

الأستاذ البخاري حمانة يعتبر من أوائل الأكاديميين الذين اهتموا بعلم النفس وعربوه وأدخلوا الدراسات النفسية الى العالم العربي وذلك من خلال الاهتمام بالغزالي الذي يعتبره البخاري قد سبق الكثير من علماء النفس في الانتباه إلى هذا الحقل، وهو يجهد في تبيان أن الافكار والحقائق التي توصل إليها الغزالي لا تطابق حقائق عصره فحسب، بل وتتماهى مع حقائق الحقبة الحديثة والمعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الدعوة؛ علم النفس الإسلامي؛ أبي حامد الغزالي؛ كتابات البخاري حمانة.

يعتبر الدكتور البخاري حمانة "أبو حامد الغزالي" علامة فارقة وقامة فارعة الطول في تاريخ الفكر الإسلامي مازالت تلقي بظلالها إلى اليوم، لقد أصبح هذا الأمر حقيقة مؤكدة لدى مؤيديه و كذا معارضييه على حد سواء.

الأستاذ البخاري حمانة يعتبر من أوائل الأكاديميين الذين اهتموا بعلم النفس وعربوه وأدخلوا الدراسات النفسية الى العالم العربي وذلك من خلال الاهتمام بالغزالي الذي يعتبره البخاري قد سبق الكثير من علماء النفس في الانتباه إلى هذا الحقل، وهو يجهد في تبيان أن الافكار والحقائق التي توصل إليها الغزالي لا تطابق حقائق عصره فحسب، بل وتتماهى مع حقائق الحقبة الحديثة والمعاصرة.

يزيد البخاري في أن الغزالي قد سبقهم" في أكثر من جانب قد تكون بالنسبة إليهم ضربا من التعصب والمغالاة وتحميلا للأشياء أكثر مما تتحمل"⁽¹⁾. وهو في كل هذا يحاول الرد على الافكار المسبقة والمُشوّهة للتراث الاسلامي التي تعود خاصة إلى المستشرقين، مع التأكيد طبعا على شح الدراسات العربية التي تطرقت لهذا الحقل، الأمر الذي يفسر إهمال علماء ومؤرخي علم النفس الحديث لدور وجهود المسلمين في هذا السياق، تماما كما هو الحال مع الدارسات الفلسفية؛ ذلك من خلال التحقيب التاريخي بالبدء في تاريخ علم النفس بالمرحلة اليونانية مرورا بالعصور الوسطى وصولا إلى النهضة الغربية دون الاشارة إلى جهود للمسلمين والعرب. سيكون لهذا التجاوز والإهمال أثرا سلبيا غائرا في مخيال الاجيال المتأخرة من المسلمين والتي للأسف تبنت هذه الافكار المجحفة طوعا أو كرها .

1 - البخاري حمانة: الإدراك الحسي عند الغزالي. دراسة نفسية مقارنة، مخبر الابعاد القيمية للتحويلات الفكرية والسياسية بالجزائر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، ط 2، 2013، ص 05 .

وعليه يسعى أستاذنا البخاري حمانة إلى محو آثار هذا التضليل المُمنهج بالتأصيل لهذا الفرع المعرفي الحديث في التراث الإسلامي من خلال التطرق لأعمال الغزالي، وهو يؤلف لهذا الغرض كتابين في هذا الإطار⁽²⁾، والعديد من المقالات والدراسات .

1- المرجعية النفسية للغزالي :

يذكر البخاري حمانة في مصادر الغزالي النفسية **أولاً**: القرآن والحديث ويستدل في ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن النفس والروح وكيفية خلق الانسان وسلوكه وشعوره وغرائزه ودوافعه وانفعالاته، بالإضافة إلى الجوانب اللاشعورية كالأحلام والرؤيا والاهام والخواجج والافئدة ، وقوى الانسان المدركة وحواسه كالسمع و الابصار، وكذلك المناقشات وتأملات المفكرين والمفسرين وعلماء الكلام والفلاسفة المسلمين لهذه الآيات والاحاديث .

وثانياً الفلسفة اليونانية في تفاعلها مع التراث الإسلامي الذي عمل مفكروه- حسب البخاري -على حفظها من الضياع وبعثوا فيها روحا جديدة صارت بفضلها حلقة اتصال حضاري، ويتطرق إلى مساهمة الفلسفة اليونانية في علم النفس من خلال آراء ديموقريديس ومحاورات افلاطون فيدون (Phédon) وطيمائوس (Timée) وكتاب النفس لارسطو (De Anima) ، والرواقية والافلاطونية الجديدة، وهذه كلها كانت " تبحث في

2 - "الإدراك الحسي عند الغزالي" .ديوان المطبوعات الجامعية OPU الجزائر 1986.

"التعلم عند الغزالي" . المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ENAL الجزائر 1986.

النفس من ناحية جوهرها وعلتها لا من ناحية نشاطها ومظاهرها، وبالتالي كانت هذه البحوث في النفس عند اليونان في مجملها، أقرب إلى ما وراء علم النفس (Métapsychologie) منها إلى علم النفس⁽³⁾. ويظهر تأثر الغزالي بالفلسفة اليونانية في دراسته للنفس في كتبه "الرسالة اللدنية، والمشكاة، والاحياء".

وثالثا: فلاسفة الاسلام و متكلموه و يذكر في هذا الاطار المتكلمين كالمعتزلة الذين كانوا روادا في هذا المجال، (ذكرهم مثلا لقانون عتبة الاحساس (Seuil de la Sensation)) وتفرقتهم بين الاحساس والإدراك، وأبو الهذيل العلاف (135هـ) -235 هـ) من خلال تأكيده على استقلالية كل حاسة عن الحواس الأخرى واختلافها عنها في الوظيفة ، ولا ينسى إسهام كل من ابو علي الجبائي (ت 235)، و ابراهيم النظام المعتزلي (ت 221هـ). و على العكس فالفلاسفة كالكندي والفارابي وابن سينا في نظره لم يخرجوا عن إطار التكرار، تكرر آراء الفلاسفة اليونانيين.

رابعا الصوفية، التصوف في جوهره سمو بالروح عن ملذات الدنيا وشهوات العارف، لذلك هو في علاقة وطيدة مع علم النفس كما يستشهد البخاري حمانه بقول لالاند: " مهما يكن الحكم الذي يمكن اصداره على التصوف فإنه يجب الاعتراف بأنه يحتوي على حالات نفسية متميزة ومرتبطة... تلك

3 - البخاري جمانة : الإدراك الحسي عند الغزالي . دراسة نفسية مقارنة ،مرجع

سابق ، ص:17-18

الحالات التي تتميز بالهبوط وبما يشبه أنحاء الرموز الحسية ومفاهيم الفكر المجرد والاستقرائي⁽⁴⁾ وهذا يُبرز حسب -الاستاذ البخاري - الأسس الموضوعية لعلاقة الغزالي بالتصوف و الرد بالتالي على من رأى في التصوف تهمة تلحق به، وهو الذي نشأ في بيئة صوفية وتتلذذ على يد شيوخ كبار في هذا المجال. لقد وجد الغزالي في التصوف مادة نفسية غزيرة وحية، " مادة خصبة لدراسته النفسية التي ظهرت أثارها واضحة في أخذه ببعض مفاهيمها للنفس وفي تطبيقه الحرفي لأساليب معالجتها وفي تلك المقرة العجيبة على تحليلها ، كما يتضح ذلك في مؤلفاته، علما بأنه لا يجب أن يفهم مما سبق أننا ننكر الأثر المحدود لبعض المصادر الأخرى على الغزالي مثل الديانة المسيحية و الطقوس الفارسية والهندية"⁽⁵⁾.

2- مفهوم الغزالي لعلم النفس :

ذهب البخاري حمانة إلى البحث عن مفهوم الغزالي للنفس وتبيان أوجه الاختلاف عن معاصرين واتفاهه مع علماء النفس في العصر الحديث وكذلك سبقهم عليهم وذلك من خلال تفريق الغزالي ولأول مرة في تاريخ علم النفس بين النفس كجوهر أو ماهية وبين النفس كمنشأ وسلوك ، الجانب الأول يعمل على التذكر والحفظ والتفكر والتمييز والرؤية بفعل التجريد، والجانب الثاني متعلق بأوصاف الانسان المختلفة باختلاف الاحوال، حال الأنا. ويجد البخاري حمانة في تقسيم الغزالي

⁴ -A.Lanlande :Vocabulaire Technique.P.U.F.PP.662-664.

⁵ - البخاري حمانة: الإدراك الحسي عند الغزالي. دراسة نفسية مقارنة، مرجع سابق، ص.21.

للعلوم بين علوم المكاشفة أو العلوم النظرية التي تبحث في الماهيات، وعلوم المعاملة التي تبحث في أعمال الجوارح، أساساً لهذه النظرة الجديدة للنفس، وذلك دون أن يفهم منه أن الغزالي ينكر وحدة النفس، لأن مفهوم علم النفس عنده هو "دراسة نشاط النفس وأحوالها سواء أكان هذا النشاط عقلياً أم حسيماً، دينياً أو دنيوياً، وما في ذلك النشاط من تغيير واختلاف تجعله وهو المتعدد والمتغير واحد، لأنه صادر عن هذه النفس الواحدة والتي توصف في الوقت نفسه بأوصاف مختلفة ومتعددة، لأنها تعبر في حالاتها تلك عن شخصية الإنسان وما فيها، تلك الشخصية التي تظل بالرغم من ذلك واحدة لأنها تمثل على حد تعبير برغسون (H.Bergson) وحدة متعددة وتعدداً موحداً"⁽⁶⁾.

أما فيما يخص السلوك فيؤكد البخاري حمادة أن الغزالي تجاوز البحث الفلسفي فيه ليغوص في الجانب النفسي منه وهذا راجع - حسبه - إلى عدة عوامل منها استعمال الغزالي للمنهج الباطني بفعل عزلته أثناء مرحلة الشك في الازمة التي مر بها، وكذلك اعتماده على الملاحظة الخارجية لتبع سلوك الإنسان وتحليله، وأخيراً اتباعه لمنهج التحليل والعلاج، كعلاج الكبرياء والكراهية والغضب والوسواس الذي يذكره في كتب الأحياء. فالسلوك عند الغزالي "بواعث ودوافع تتحول من الدوافع اللاشعورية إلى دوافع شعورية فتصبح بواعث ثم تتحول هذه البواعث بدورها بعدما يتمثلها الذهن إلى خواطر لا تلبث أن تدفع الإنسان إلى القيام بسلوك ما،... وهكذا يؤكد

6 - المرجع سابق، ص: 28-29.

الغزالي: أن السلوك متوقف على المعرفة لأن المانع من السلوك عدم الإدارة، والمانع من الإرادة عدم الإيمان⁽⁷⁾. وفي تناوله لمفهوم الادراك لدى الغزالي يُشدد على أن الغزالي يخالف سابقيه والمتأخرين عنه في عدم اقتصره على المعرفة التي تمدنا بها الحواس على رغم أهميتها، فهي تبقى مرحلة ضرورية في عملية الادراك، وهو يقسم الادراك إلى نوعين، إدراك حسي مصدره الحواس العالم الخارجي وادراك عقلي قائم على الكليات مجردة من الحس، والادراك الحسي بدوره ينقسم إلى نوعين: إدراك يتم عن طريق الحواس الخمسة المعروفة، وعن الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والوهم والذاكرة والمخيلة، وإدراك عقلي يميز الانسان عن الحيوان، ويتم من خلال تجريد المعطيات الحسية من المادة عن طريق الاستقراء والقياس والتمثيل وهي وسائل خاصة بالعلماء والفلاسفة، أو يتم انطلاقاً من مصادر غير حسية كالوحي والكشف وهو خاص بالأنبياء و الصوفية .

ويبرز هنا هذا الارتباط بين الاحساس والادراك والتفكير لدى الغزالي وهو ما يؤكد عليه علم النفس اليوم و يقر هذا التدرج في مستوياتهما، وهو ما يؤكد القول التالي: "فالإحساس بمفهومه الحديث ليس سوى الانطباع الحاصل لإحدى حواسنا نتيجة لمؤثر خارجي والادراك هو عملية تفسير وتعرف على الانطباع، في حين أن التفكير في مفهوم ذلك الانطباع وفي نتائجه وآثاره يحوله إلى مفاهيم ذهنية مجردة أو عمليات من

7 - البخاري جمانة: الإدراك الحسي عند الغزالي. دراسة نفسية مقارنة، مرجع سابق، ص.33.

الدرجة الثانية" (8) وهو" ما نطلق عليه اليوم التفكير المجرد" (9) أو كما يعرفه الغزالي: الإدراك هو "أخذ صورة المدرك وذلك على مراتب في التدرج" (10).

ويذهب البخاري إلى أن الغزالي يؤكد على حقيقة ما بات يُعرفه علم النفس الحديث بقانون العتبات (Les Loi du Seuil)، أي أن الاحساس هو احساس بالفرق، فهو التغير الطارئ على حالة العضو الحاس، وهذا بقول الغزالي نفسه " فنحن لا ندرك إلا ما هو أسخن أو أبرد فطالما هناك تغير هناك إحساس إلى أن يتوقف ذلك التغير فينقطع الإحساس، أي أن يستحيل المحسوس إلى شبه المدرك من البرودة أو الحرارة" (11). بالإضافة إلى تفريق الغزالي مثلما يفعل علم النفس الحديث بين الاحساس والمحسوس (Le Sensible - Sentation)، وهو هنا لا يختلف عن كثير من مفكري الإسلام، لكنه يضيف ما يسميه البخاري بالإحساس بالألم الفيزيائي (Le sens algique)، وهو ما أكده باحثون ألمان مثل الفسيولوجي فونفري (Von Frey) وفورستر (O.Forster).

والأهم في نظر البخاري حمانة هو الدور الذي يعطيه الغزالي للعنصر الوجداني في عملية الاحساس، أو ما يسميه علم النفس بالشروط النفسية للإحساس، أي أن الاحساس غير منعزل عن

⁸ -Drever (J) : dictionary of psychology.P.206.

ذكره البخاري حمانة ، الإدراك الحسي عند الغزالي. دراسة نفسية مقارنة ، مرجع سابق، ص.37

⁹ - المرجع سابق، ص.37.

¹⁰ - الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، 1961، ص

289، ذكره البخاري جمائة : الإدراك الحسي عند الغزالي، مرجع سابق ،ص.38.

¹¹ - الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، ص350، ذكره البخاري جمائة : الإدراك الحسي

عند الغزالي، مرجع سابق، ص.42.

الحالات الشعورية للحاس والادراك لا يتم في غياب هذا العنصر، هو ما يسميه ميرلوبونتي بالا دارك المسبق (La Préperception)، يقول الغزالي: "فلو خلق الله لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه يستحثك على الحركة لكان البصر معطلا"⁽¹²⁾، **فعملية الاحساس والادراك لا تتم عند الغزالي بدون العنصر الوجداني أو النفسي .**

ويتطرق أستاذنا كذلك إلى ما يسميه علم النفس الحديث بالخداع البصري الذي قامت عليه السينما، فالغزالي رغم اهتمامه بالحواس فهو لا يعتمد عليها بإطلاق كما فعل كوندياك (Condillac) مثلا، الذي رفض كل خبرة لا تمدنا بها الحواس، بل يرى أن حاسة البصر لا "تخلو من نقائص :

- أ. تبصر غيرها و لا تبصر نفسها
- ب. لا تبصر ما بعد و لا ما قرب
- ج. لا تبصر ما وراء الحجاب
- د. لا تبصر من الأشياء إلا ظاهرها
- هـ. تبصر من الموجودات بعضها لا كلها
- و. تبصر أشياء متناهية، لا أشياء لا نهاية لها
- ز. تغلط في أبصارها حيث ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والساكن متحركا ساكنا"⁽¹³⁾ .

12 - الغزالي: إحياء علوم الدين، مكتبة عيسى الباني الحلبي، القاهرة ، 1957، ج 4، ص، 291. ذكره البخاري جملة: الإدراك الحسي عند الغزالي، مرجع سابق ص، 49.

13 - الغزالي: المشكاة ، ص 06، ذكره البخاري جملة: الإدراك الحسي عند الغزالي، مرجع سابق، ص، 72.

وبذلك يخالف الغزالي المدرسة الشكلية والحسية في الاعتماد المفرط على الحواس واعتبارها وسيلة للمعرفة الصحيحة دائما، فهاته الحواس كثيرا ما تخدعنا وتجعلنا نرى كما يقول الغزالي " أشياء ساكنة وهي متحركة في الحقيقة وأخرى صغيرة و هي أكبر مما نظن " (14) .

3-الغزالي و المدرسة الشكلية (La Gestalt Theorie):

تتويجا لما قام به الباحث من ابراز النقاط الأصيلية في مفهوم الغزالي للنفس الذي يقارن بالفتوحات التي وصل إليها علم النفس الحديث يعقد في الأخير مقارنة لفهم لظاهرة الإدراك بين الغزالي والمدرسة الشكلية والتي كانت رد فعل على المدرسة السلوكية والربطية من خلال رفضها للتحليل الجزئي التعسفي للظواهر النفسية .

ويتطرق البخاري لأهم النقاط التشابه بينهما في فهم ظاهرة الإدراك عامة و الإدراك البصري بصفة خاصة :

أ-الشكل كعنصر أساسي في الإدراك: يُعتبر الشكل كعنصر أساسي في عملية الإدراك لدى المدرسة الشكلية ويفرض نفسه حتى في عمليات التذكر والتخيل، وهو الأمر الذي يذكره الغزالي بقوله: "الأبصار يدرك الألوان والأشكال ثم الخيال يتصرف في المحسوسات فيركب من المرئيات أشكالا مختلفة والتركيب من جهته، فإنك تقدر أن تتخيل فرسا له رأس إنسان

14 -الغزالي : الاحياء ، ج 4 ، ص:4-7 ، ذكره البخاري جمانة : الإدراك الحسي عند الغزالي، مرجع سابق ،ص72.

ولكن لا يمكن أن تتصور أحادا سوى ما شاهدته البتة حتى لو أنك اردت ذلك لم تقدر عليه " (15).

ب - قانون التوتر أو ظاهرة المجال:المجال هو العلاقات الدينامكية التي تربط الانسان بمحيطه كمؤثر في سلوكه وميدان تأثير السلوك فيه، وترى المدرسة السلوكية في هذا الشأن الانسان باعتباره مؤثرا ومتأثرا يكون عرضة للتوتر المستمر الأمر الذي يحثه على البحث عن انماط سلوكية جديدة يتكيف من خلالها مع مجاله أي محيطه، وهو ما يؤثر في النهاية على ادراك الانسان و سلوكه .

وهو الأمر الذي يتحدث عنه الغزالي الشوق و الإدراك بقوله: " لأن ما أدراك لكماله لا يشفق إليه و ما لم يدرك أصلا لا يشفق إليه و لكن الشوق يتولد نتيجة لاكتشاف الانسان أن هناك أمورا ما زالت غامضة لديه وهو يعلم أنها موجودة بالرغم من ذلك ويعلم أن ما غاب عنه منها أكثر مما حضره فيما يزال متشوقا إلى أن يحصل له ما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة"(16).

ج- إدراك الحركة:و هو ما تسميه المدرسة الشكلية الخداع الحركي والذي نجده مجسدا في السينما والاعلانات، ففي هذه الاخيرة نرى الضوء يتحرك فيها من مكان لآخر ، لكن حقيقة مايجري هو أن هناك هناك ضوء يشتعل ثم ينطفئ ليشتعل ضوء آخر قريب منه وهو ما يسبب وهم الحركة أو الخداع

15 - الغزالي: معيار العلم، مطبعة كردستان العلمية، 1329 هـ ، وسليمان دنيا، دار المعارف، 1964. ص. 91، ذكره البخاري جمانة: الإدراك الحسي عند الغزالي، مرجع سابق، ص، 128.

16 - الغزالي: الاحياء، ج 4، ص 314، ذكره البخاري جمانة: الإدراك الحسي عند الغزالي، مرجع سابق، ص، 131.

الحركي، أما في السينما فنرى مشهدا متحركا وهو في الحقيقة أشكال مختلفة لنفس الشيء ثابتة تتحرك بسرعة فائقة، شيء تتغير أشكاله بسرعة. لقد وجدت المدرسة الشكلية في ظاهرة الخداع الحركي سندا مهما لتدعيم نظرتها للحركة والادراك القائمة على الطابع الكلي للحياة النفسية، فالحركة لم تعد مجرد مركب لأوضاع مختلفة، بل هي "حقيقة نشعر بها وندرکها بصورة مباشرة باعتبارها شكلا كليا يختلف عن عناصره أو أجزائه المكونة له" (17).

ويرى البخاري حمانة أن الغزالي لا يبتعد كثيرا في فهمه لهذه الظاهرة، من خلال الاستشهاد بتحريك قيس من النار أفقيا أو دائريا فنرى النقطة المضيئة صارت مستقيما أو دائرة، وهذا راجع إلى ما تولده تلك الحركة في إدراكنا مثل تلك الاحساسات أو الظواهر. ويذهب إلى سبق الغزالي في التطرق إلى الخداع الحركي بنوعيه في إطار الحركة السريعة (قيس النار) والحركة البطيئة (تفتح الوردة وحركة الظل)، وهذه الفكرة هي التي قامت عليها أجهزة التلفزيون والسينما والأجهزة العلمية الدقيقة والتي تجعلنا ندرك الأشياء نتيجة لطريقة عرضها علينا.

يستنتج البخاري حمانة أن الغزالي ومن خلال بحوثه الأصيلة في ميدان علم النفس قد توصل إلى حقائق سبق بها علم النفس الحديث، وتوصل إلى أفكار تضاهاها ما وصلت إليه مباحث هذا العلم حديثا، وهو ما يدحض الاجحاف الذي لحق بالتراث العربي والاسلامي من طرف المؤرخين والباحثين في هذا الميدان، ويشجع الباحثين العرب على الانطلاق في البحث في

17 - البخاري جمانة : الإدراك الحسي عند الغزالي، مرجع سابق، ص، 132.

هذا المجال بالاستناد إلى جهود أجدادهم واستيعاب ما توصل إليه المفكرين الغربيين في الدراسات النفسية من أجل المساهمة في نهضة عربية وإسلامية .

فالبخاري حمانة ينطلق من دراسته التأصيلية لعلم النفس لدى الغزالي من أجل الدعوة إلى علم نفس إسلامي عربي يتميز عن علم النفس الغربي، لأن المفهوم الإسلامي للحياة والوجود وللإنسان ولمصيره يختلف عن المفهوم الغربي، فالأول قائم على أن الوجود من صنع الله وهو الحافظ له والإنسان مكلف فيه باعتباره خليفة في الأرض، والثاني مُستسلم للحياة المادية والقلق واليأس، وهو ما ينعكس على علاقة النفس بالجسد، وهي علاقة لا تقوم على التناقض والتناظر في التراث الإسلامي كما هو الحال مع التراث الغربي بدءاً بالتفكير اليوناني وصولاً إلى علم النفس الحديث، بل تأخذ بعين النظر متطلبات الروح دون التضحية بضرورات الجسد .

علم نفس إسلامي عربي معاصر يجب أن يُفرغ الدراسات النفسية الغربية من محتواها الاستعماري والمادي والتجزئي، وتكييفها مع المبادئ الإسلامية والواقع الحضاري والثقافي المميز للمسلمين، وبالتالي الاستجابة لمشاكل الإنسان المسلم المعاصر "ذلك أن حاجة العالم الثالث إلى الأفكار الأصيلة النابعة منه والمعبرة عنه لا تقل عن حاجته إلى الآلات"⁽¹⁸⁾، خاصة بعد أن بينت الدراسات الغربية المعاصرة فشل علم النفس بفروعه المتعددة في حل مشاكل الإنسان الغربي

18 - البخاري حمانة :تأملات في الدنيا والدين، مخبر الابعاد القيمية للتحويلات الفكرية والسياسية بالجزائر ،دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران ، ط 1، 2012 ، ص 162 .

(الانتحار، الادمان، الفصام، ارتفاع نسبة الامراض العقلية (...))، والانتقادات التي طالته ونذكر هنا كتاب " ضد أوديب" لجيل دولوز والمحلل النفسي فليكس غيتاري اللذان اعتبرا أن التحليل النفسي ليس إلا تحالفا بين المحلل النفسي والرأسمالية من أجل تسخير الانسان لخدمه أهدافها .

فالتراث الاسلامي بما يتوفر عليه من دراسات وفتوحات تعلي من شأن مفاهيم اشكالية جعلت الدراسات الغربية تقصي من مجالها مفاهيم حيوية وهامة في حياة الانسان كالاشعور والحلم والايمان وتعتبرها مصدرا للغرائز الحيوانية المكبوتة والقلق واليأس، ولكنها هي عند المسلمين مصدرا للحكمة والتفريغ والراحة والتوازن النفسي ومنبعا للإلهام، ولا ننسى أساليب المسلمين في علاج المرضى العقليين ومعاملتهم التي تختلف عن أسلوب الغرب المتمسم بالعقاب والسجن، عدم التسامح والاقصاء والعزل (التهميش).

فالتراث الاسلامي من قرآن وسنة وتصوف وما يتوفر عليه من دراسات وتجارب في هذا الحقل النفسي، مؤهل للتعاون مع علم النفس الغربي من أجل بحث مشاكل الانسان المعاصر شريطة - حسب البخاري- أن تتوفر الوسائل والظروف الموضوعية التالية :

أ. القاء الضوء على الجوانب الايجابية في التراث العربي الاسلامي في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية بصفة عامة وعلم النفس بصورة خاصة .

ب. ترجمة هذه النصوص والفتوحات المعرفية باللغات الحية العالمية والمشاركة بها في المجالات النفسية العالمية المتخصصة والملتقيات والندوات الدولية.

ج. تشجيع البحوث النفسية نظريا وتطبيقيا وجعلها عنصرا مهما في مسيرة التنمية (كما هو الحال حاليا في كثير من بلدان الخليج العربي).

د. توحيد المصطلحات النفسية في العالم العربي من طرف المتخصصين في هذا المجال (19).

هذه هي المتطلبات والشروط التي يراها البخاري حمانة كفيلة بتحرير علم النفس الإسلامي العربي من أسرته التراثوي وجعله معاصرا لنا، مواكبا لهموم ومشاكل الانسان المسلم المعاصر، بإعادة الثقة لهذا الانسان التائه، فكلما عرف نفسه ازدادت معرفته بمحيطه ومشاكله وتطلعاته، وبالتالي ينخرط في مسيرة التنمية والتقدم. وإعادة التوازن للحضارة المعاصرة.

19 -- البخاري جمانة: تأملات في الدنيا و الدين ، مرجع سابق ، ص: 235-236.